

الترجمة الأدبية في صقلية والأندلس ما بين القرنين 12-13م وأثرها على الأدب الأوروبي

*Literary translation in Sicily and Andalusia between 12th-13th centuries and
its impact on European literature*

ميلود حميداتو ، طالب دكتوراه
أ.د. نبيلة عبد الشكور

قسم التاريخ - جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر 02-
مخبر تاريخ الجزائر عبر العصور، جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر 02.
milloud.hamidatou@univ-alger2.dz

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 تاريخ القبول: 2021/05/12 تاريخ النشر: 2021/11/04 ذ

ملخص:

تكتسي الترجمة على مدى العصور أهمية بالغة كونها أحد أهم وسائل التواصل الحضاري والثقافي بين الأمم والشعوب، إذ لا أحد ينكر ما للترجمة من دور أساسي وفعال في نقل التراث الفكري بين الأمم، وما لها من أثر في نمو المعرفة الإنسانية عبر التاريخ. وفي الحضارة الإسلامية شكلت الترجمة، أحد أبرز المعايير التي جسدت مدى التقدم الثقافي والعلمي للدولة الإسلامية، إذ أظهرت بحق مدى وعي المسلمين بضرورة الاستفادة من التراث الانساني في مختلف المجالات .

وكانت الترجمة الأدبية كنوع خاص من الترجمة، قد ظهرت ارهاصاتها في صقلية والأندلس خلال القرنين 12-13م حيث أن أكثر ما ترجم من الأدب إجمالاً في هذين القطرين، كان في الغالب ما يتعلق بالشعر والقصة، على غرار حكايا كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة والسندباد وقصة حي بن يقظان. هذه الحكايات التي لها أثر واضح في الأدب الأوروبي .
الكلمات المفتاحية: الترجمة - الترجمة الأدبية- الأدب القصصي- الشعر - الأدب الأوروبي

The abstract:

Throughout the ages, translation has great importance, as one of the most important means of civilizational and cultural communication and exchange between nations, thus no one can deny the basic and effective role of translation in transferring intellectual heritage between nations, and its impact on the growth of human knowledge throughout history. In the Islamic civilization, translation, constituted one of the most essential criteria that presented the extent of the cultural

and scientific progress of the Islamic State that shows to what extent Muslims are aware of the need to benefit from human heritage in various fields.

Literary translation, as a specific kind of translation, appeared in Sicily and Andalusia during the 12th - 13th centuries AD, mentioning that most translated literature in these two countries was mostly related to poetry and story like: Kalila and Dimna, a Thousand and One Nights, Sinbad, and Hayy ibin Yaqdhan. These stories which had a clear impact on European literature.

Keywords: translation - literary translation -fiction-poetry-European literature

مقدمة :

شكلت صقلية و بلاد الأندلس أثناء عصور تألقهما جسرين ثقافيين وحضاريين راقيين عبرت من خلالهما جلّ المعارف والعلوم العربية والإسلامية إلى الغرب المسيحي عن طريق الترجمة التي تعد ولا تزال وسيلة بالغة الأهمية للتواصل بين الأمم. وقد حملت الترجمة ميزة خاصة في كلا القطرين إذ ساهمت في تنوير أوروبا، وكانت بحق المحرك الأساسي لانبعث الفكر والحضارة الإسلامية الراقية وذلك بفضل اهتمام المسلمين بها من خلال ترجمتهم للكتب والمؤلفات العربية إلى اللغات اللاتينية. ولم تكن كتب الأدب، شعرا ونثرا بمعزل عن هذه الترجمات النشطة حيث تمت ترجمة بعض الأقاصيص والحكايات العربية أو الفارسية المترجمة إلى العربية، إلى اللغات اللاتينية على غرار قصة كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة وحكايات السندباد البحري وكذا قصة حي بن يقظان ، وكان لهذه الترجمات الأدبية أثر كبير في الآداب الأوروبية، وظهر ذلك جليا.

تعريف الترجمة :

كلمة الترجمة مأخوذة من الفعل ترجم، يترجم، ويقال ترجم الكلام إذا فسرناه ووضح معناه، وترجم عن الشخص إذا ذكر سيرته وتاريخ حياته. وأما معناها الاصطلاحي فتعني نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى ونقول فلان ترجم الكلام أي بيّنه وأوضح معانيه أو بسّطه وبين مقاصده وصيره مفهوما¹.

ومن الدارسين من يرى أن الترجمة هي في الأصل نقل من لغة إلى أخرى ، وهو نقل مزدوج أي ذو اتجاهين : فهو نقل من اللغة ونقل إليها . فأما الاتجاه الواحد في النقل من اللغة أو إلى اللغة، فهم يفرقون فيه ، فما يتعلق باللغة العربية يرون أن النقل إليها تعريب، والنقل منها تعجيم².

تعريف الترجمة الأدبية:

وهي أحد تصنيفات الترجمة وتشمل القيام بنقل وترجمة جميع أصناف الأدب، أي الأعمال الأدبية الإبداعية من قصائد شعرية غنائية ومسرحيات شعرية وملاحم وروايات وقصص وحكايات خرافية، وقصص على ألسنة الحيوانات ومقامات ورسائل أدبية وحكم وأمثال وخطب وجميع ما يندرج تحت الادب بمفهومه الخاص بالإنتاج الشعري أو النثري³.

وتوصف الترجمة الأدبية بأنها أصعب وأدق أنواع الترجمة وأعسرها على الإطلاق وذلك لأن النص الأدبي يطرح إشكالات خاصة أثناء ترجمته، إذ أن مهمة المترجم الأدبي لا تقتصر فقط على نقل دلالة اللفاظ وإحالة القارئ على نفس الشيء الذي يقصده صاحب النص الأصلي بل تتعداه إلى نقل وكذا إلى التأثير الذي يرمي المؤلف إحداثه في نفس القارئ⁴.
أهم مدارس الترجمة في صقلية والأندلس:

1-

مدرسة باليرمو بصقلية:

نشطت حركة الترجمة في باليرمو عاصمة صقلية تحت رعاية الحكام النورمان كروجر الثاني والامبراطور فريديريك الثاني (ت 648هـ-1250م) الذي تلقى علومه على يد المعلمين العرب، وكان يشرف على تدريس العلوم العربية في قصره ببالييرمو، كما ألف عددا من الكتب باللغة العربية وترجم بعضها إلى اللاتينية.

وقد خصص ملوك النورمان جناحا في البلاط الملكي لترجمة المؤلفات العربية واليونانية، يشرف عليه مترجم رئيسي، مكلف بمراجعة عمل المترجمين بانتظام، وبذلك استطاعت باليرمو أن تترجم أشهر مؤلفات العرب، على رأسهم ابن رشد. وقد حرص هؤلاء الحكام على توزيع الترجمات على الجامعات الأوروبية، رغبة منهم في نشر العلم، وبدافع من منافسة الكنيسة في الغالب، فأصبحت عاصمة صقلية، تضاهي طليطلة وقرطبة في الترجمة والنقل، ومن أشهر المترجمين فيها، فرج بن سالم الذي كان يتقن اللاتينية والعربية، وإليه يعزى ترجمة كتاب الحاوي للرازي، وموسى البالييري الذي ترجم كتاب أبقراط عن أمراض الخيل، وذلك في عهد شارل والد فريديريك الثاني⁵ وأشهر المترجمين عن العربية يوجين البالييري الذي ترجم كتاب "كليلة ودمنة" أو أنه كان قد كساعده في ترجمته.

2-

مدرسة طليطلة بالأندلس:

تأسست هذه المدرسة في القرن الثاني عشر ميلادي خلال حكم ألفونسو السابع 1126-1157م. ويعود الفضل في تأسيسها أيضا إلى كبير الأساقفة في طليطلة ضون رايموندو آنذاك، الذي استطاع أن يجمع حوله عددا كبيرا من المترجمين عهد إليهم بنقل أمهات الكتب العربية في مختلف العلوم إلى اللغة اللاتينية والتي كانت لغة الدين والدولة والعلم في الممالك الإسبانية⁶، وتعتبر مدينة طليطلة من أهم مراكز الثقافة الإسلامية في الأندلس وكانت المنارة التي تشع منها الثقافة الإسلامية نحو أوروبا، وكانت أشبه ببيت الحكمة الذي أسسه الخليفة هارون الرشيد وباتت أكبر مركز للترجمة خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وقد استمرت هذه المدرسة تؤدي دورها الريادي في الترجمة ونشر الثقافة العربية والإسلامية⁷.

ضمت المدرسة عددا كبيرا من المترجمين من أعراق مختلفة فمنهم اليهود مثل حنا الاشبيلي بن داود الذي ترجم عددا هائلا من المؤلفات العربية إلى اللاتينية ومنهم النصراني أمثال جيرارد

الكريموني وهو كبير المترجمين وأشهرهم وإليه يعزى ترجمة ما يربو عن السبعين كتابا حسب ما يرويه عدد كبير من الدارسين⁸.

ويبدو أن أسلوب الترجمة المتبع في هذه المدرسة قد تأثر بأسلوب الترجمة في بيت الحكمة ببغداد ويؤكد هذا أوليري في قوله: " كانت الطريقة المستخدمة في هذه المدرسة والمتبعة في القرون الوسطى هي أن يستخدم الموظفون في الترجمة فيضعون الكلمات اللاتينية فوق الكلمات العربية التي في الاصل، ثم تراجع اللاتينية على يد كبير الموظفين وتحمل الترجمة بعد انتهائها اسم من راجعها وكانت هذه الطريقة آية للغاية فكان المترجم الاول يعامل معاملة الاقل في الاهمية ويبدو أن اعداد الترجمة كان يحدث بحسب الأوامر وبالطريقة نفسها التي كان يحدث بها نسخ النصوص فلم تعد أكثر اتصالا بالمعرفة من عملية النسخ، كما لم تكن مهمة المراجعة أكثر من أن يتأكد من أن الجملة اللاتينية كانت صحيحة من الناحية اللغوية أما تركيب الجملة فكانت لا تزال عربية الطابع وكان في الغالب في منتهى الصعوبة في الفهم على القارئ اللاتيني ولا سيما حين تكون الكلمات الصعبة مجرد ترجمة للكلمات العربية"⁹

طرائق الترجمة:

تشابهت طرق الترجمة و مناهجها، في كل من طليطلة بالأندلس وباليرمو في صقلية، وذلك راجع للعلاقات التي التي تربطها بهذه الأخيرة، والتي تجسدت في الزيارات المتبادلة فيما بينها، من طرف العلماء والأطباء والمترجمين، بل إن من هؤلاء المترجمين من عمل في صقلية وارتحل نحو الأندلس، أو العكس، على غرار جيرارد الكريموني، مايكل سكوت، أديلار الباثي.

وقد اتبع جمهور المترجمين في صقلية والأندلس طريقتين أساسيتين هما:

1- الترجمة الحرفية:

وهي الترجمة التي لا تتقيد بروح النص والمعنى الحقيقي المقصود، بل تأخذ بالمعنى الظاهري حتى ولو كان مخالفا لطبيعة المحتوى.

وفي الترجمة الحرفية تنقل الألفاظ من اللغة الأصل (المنقول منها) إلى اللغة الهدف (المنقول إليها) بحيث يكون النظم في اللغة الأصل موافقا له في اللغة الهدف، وهي عكس الترجمة الحرة، كما ذكرنا وقد عمد أغلب المترجمين إلى اتباع هذه الطريقة قبل عصر النهضة، ومن أنصار هذه الطريقة في الأندلس جيرارد الكريموني الذي تتبع أسلوب بوثيوس حوالي (480-524) الذي خيّر الترجمة الحرفية كلمة بكلمة في ترجماته المتأخرة للفلسفة الاغريقية وذلك لتفادي إحداث أي تغيير على النص الأصلي¹⁰.

ومن المهم أن نشير أن أغلب مترجمي العصور الوسطى في باليرمو و طليطلة قد تبنا هذا الأسلوب في الترجمة لدرجة أنهم حافظوا على ترتيب الكلمات في النص الأصلي دون تغيير، وما يعيب هذه الطريقة أنها قد تصلح على لغة دون أخرى، إذ تختلف اللغات اللاتينية في قبولها عن اللغات

السامية، مما يحدث إرباكا في المعني وبلبلة في الأفكار، وهذا ما عبر عنه فرنر شفارتس في قوله: "ولو طبق هذا الأسلوب على النصوص الإغريقية المترجمة نحو اللاتينية سيفضي إلى انتاج نص يسهل فهمه إى حد ما لأن اللغتين ترجعان إلى أصول هندوأوروبية. ولكن ذلك لا يستقيم مع لغة سامية كالعربية لأنه ينتج نصا يصعب فهمه، ولكن القراء في العصور الوسطى كانوا متعودين على هذا الأسلوب في الترجمة نحو اللاتينية وأظهروا أحيانا معارضة لنسخ قد تكون أكثر أناقة باستعمال لغة لاتينية يغلب عليها الطابع الكلاسيكي مثل أسلوب شيشيرون (106-43 ق.م)"¹¹

2- الترجمة الحرة:

ويقصد بها ترجمة المعنى، حيث يقوم على فهم معنى النص الأصلي ونقله بالأسلوب المناسب إلى اللغة المنقول إليها، وقد اعتمد هذه الطريقة كبير المترجمين في صقلية، قسطنطين الإفريقي في جميع ترجماته، حيث يقوم بعرض المعنى العام للعمل المترجم بدلا من التتبع للصيق لعباراته، وقد عمد إلى حذف أقسام وإضافة أخرى بغرض جعل النص سهل القراءة وتام المعنى حسب رأيه، وقد لاقت تراجم قسطنطين الإفريقي قبولا حسنا وقرأها الكثيرون خلال العصور الوسطى¹².

والجدير بالذكر أن جل المترجمين في كلا المدرستين قد اتبع هذه الطريقة في ترجماتهم للمؤلفات الأدبية على غرار ترجمة القصص والحكايا، وذلك لأن المترجم يسعى فيها إلى هدف جمالي من خلال أشكال جديدة للتعبير ولاسيما في ترجمة الشعر، كما أن المترجم الأدبي يتمتع بقدر كبير من الحرية في تعامله مع النصوص، ففي الوقت الذي يراعي فيه الدقة والأمانة في الترجمة، يمكنه أيضا التصرف في النص بطريقة ما، فيحذف شيئا هنا، ويضيف شيئا هناك بل يمكنه إعادة صياغة النص في ثوب جديد دون أن يمس جوهر المعنى.

وعليه فإن الترجمة الأدبية في حقيقتها هي إعادة بعث للنص الأصلي في ثوب جديد ومتجدد، مما يتطلب على المترجم أن يكون ذا كفاءة عالية، وحسا فنيا، وأن يعرف اللغة المنقول إليها معرفة عميقة، كما يحتاج إلى خيال واسع وخصب ولغة رصينة، وأن يعايش النص المترجم ويسبر أغواره، وينسجم مع مضمونه كي يتسنى له نقل الكلمات والجمل والأصوات وجميع الصور والعناصر الجمالية مع الحرص الشديد على مراعاة الأمانة في النقل.

الترجمات الأدبية وأثرها في الأدب الأوروبي:

يزخر التراث العربي بالكثير من الحكايات والقصص التي تحمل في خباياها خلاصة وحكم وبقايا لمعتقدات سيطرت على عقل الإنسان لزمان طويل، لأنها ليست إبداع فردي بل هي نتاج العقل الجمعي، وهي من أقدم الفنون النثرية التي عرفها الانسان، وتتميز بأنها تزيد فضول القارئ وتحفزه للإسهام في انتاجها، ومن أشهر القصص في التراث العربي، قصة ألف ليلة وليلة أو الليالي العربية كما تسميها المراجع الأجنبية، وتحمل هذه القصة في طياتها مغامرات قصصية ذات وحدات سردية متنوعة، شملت أحاديث عن الحب، والعارف والتجارب والخيال والعجائب، كما تضم العديد من النوادر

والأمثال والحكم، التي تنعَى أفكار القارئ من خلال المزج بين المتعة والفائدة¹³. وهناك قصص عربية أخرى مشهورة في التراث العربي، كقصّة حي بن يقظان وحكايات كليلة ودمنه وغيرها، وقد تم ترجمة هذه القصص جميعها في أزمان مختلفة، إلى العديد من اللغات الأجنبية كاللاتينية والعبرية... الخ وكان لترجمتها صدى كبير على واقع الأدب الأجنبي ويظهر هذا التأثير جليا في ثنايا القصص والروايات التي ألفها أدباء أوروبا الذين انهروا بسبك أفكارها المتداخلة، وعمق التعبير، وكذا اتسامها بالوضوح والصراحة وتغليب عنصر التشويق فيها، فاستحوذت بذلك على عواطفهم وعقولهم، مما حدا بهم على أن ينسجوا على منوالها قصص وروايات تقترب منها في الشكل والمضمون .

أولا: على مستوى الأدب القصصي:

قصة ألف ليلة وليلة:

وسميت بهذا الاسم، نظرا لتوالي حكايات شهرزاد لمدة زمنية قدرها ألف ليلة وليلة، وقد اختلف الدارسون في أصل ومصدر هذه القصة، إذ يقول بعضهم أنها ذات أصول فارسية ودليلهم على ذلك " أن أول ترجمة لهذا الكتاب كانت من الفارسية إلى العربية في عصر الترجمة قبل منتصف القرن العاشر ميلادي حيث يطلق عليه هزاز أفسانة أي ألف خرافة ، ثم تناوله الشعبيون بالتحجير والتهذيب¹⁴ ، ويقصد هؤلاء أن هذه القصة لم تكن معروفة في السرد القصصي العربي القديم، إلا بعد بعد الانفتاح على آداب الأمم المجاورة، وازدهار عملية الترجمة إبان العصر العباسي، ومن أنصار هذا الرأي، دير لاين وليبيديف .

ويرى آخرون أن " قصص ألف ليلة وليلة تحمل ملامح هندية تبدو في تداخل القصص، وطريقة التساؤل التي لوحظت في كليلة ودمنة، وكذا الإطار العام الذي تبدأ به الحكايات من خيانة زوجة الملك وحيلة شهرزاد التي شغلت الملك عن قتلها إلى غير ذلك مما له نظير في القصص الهندي¹⁵ .

ومهما يكن من أمر فإن هذه القصة قد نالت شهرة واسعة في الأوساط الأدبية العربية، والغربية على حد سواء وباتت قدوة للأنامل المبدعة، والمواهب الفذة فتغلغت في نفوس القراء، وتأثر بها أدباء أوروبا لاسيما بعد ترجمت إلى اللغة اللاتينية، إلا أن بعض الدارسين يؤكدون أن أوروبا عرفت هذه الحكايات قبل ترجمتها عن طريق الروايات الشفهية، ونحن لا نستبعد هذا الرأي ذلك أن انتقال القصص والحكايات عن طريق الروايات الشفهية أمر طبيعي كونها من قبيل الأدب الشعبي الذي يتسم بالمرونة والحرية، ما يجعله يتحدى الحدود الإقليمية والتزاعات السياسية، وهو ما حدا بأحد الدارسين بالاعتراف أنه " كلما حدث انتقال بين الأدبين الشرقي والغربي، تمكن فيض التأثير الشرقي من أن يزيد في تيارات الأدب الشعبي الأوروبي قوة يستطيع بها أن يتحدى سلطان الآداب اللاتينية واليونانية تحديا موفقا على حد ما¹⁶ .

وقد عرف الأوروبيون قصة ألف ليلة وليلة عن طريق مسلمي صقلية والأندلس، اللتان كانتا بمثابة نقطتي التقاء بين المسلمين والنصارى خلال العصر الوسيط، فمن المعروف أن التراث العربي

قد انتقل الى أوروبا عن طريق هذين المنفيين، وقد تأثر أدباء أوروبا بقصة الليالي كما أسلفنا، ففي اسبانيا تجسد هذا التأثير في العديد من أعمالهم الأدبية وعلى سبيل المثال قصة " قصة الفارس سيفار " " Historia Del cavalero cefar " التي كتبها فيران مارتينيز أحد رجال الدين في مدينة طليطلة ما بين ومسرحية " إنما الحياة حلم " " La vida es sueno " للأديب كالديرون دولباركا، وهو من أشهر الأدباء والمسرحيين والشعراء الاسبان الكلاسيكيين وحكاية " الفتاة تيودر " (Doncella The Odore) لصاحبها لوبي دي فيكا، أما في إيطاليا فقد كان تأثير قصة ألف ليلة وليلة واضحا في قصة جيكوندو للأديب أرلاندو فرنسفو وقصة إسطالفو لجيوفاني سركامي¹⁷.

كليلة ودمنة :

كليلة ودمنة هو كتاب يتضمن مجموعة من القصص، وقد ترجمه عبد الله بن المقفع إلى اللغة العربية في العصر العباسي وتحديداً في القرن الثاني للهجرة الموافق للقرن الثامن للميلاد وصاغه بأسلوبه الأدبي متصرفاً به عن الكتاب الأصلي الفصول الخمسة (بالسنسكريتية: پنجانترا). وقد أجمع العديد من الباحثين على أن الكتاب يعود لأصول هندية، وكتب باللغة السنسكريتية في القرن الرابع الميلادي، ومن ثم تُرجم إلى اللغة الفهلوية في أوائل القرن 6م بأمر من كسرى الأول. وقد ترجمه عبد الله بن المقفع إلى اللغة العربية، وقد لعبت النسخة العربية من الكتاب دوراً رئيسياً مهماً في انتشاره ونقله إلى لغات العالم إما عن طريق النص العربي مباشرة أو عن طريق لغات وسيطة أُخذت عن النص العربي.

وقد انتقلت قصة كليلة ودمنة إلى الأندلس في القرن الثالث عشر الميلادي، عندما أمر ملك قشتالة، ألفونسو العاشر (1221-1284)، المعروف بلقب "الحكيم"، بترجمتها إلى القشتالية، فكانت أول عمل من وحي الخيال يُنشر بتلك اللغة. وقد عرف ألفونسو العاشر بانفتاحه على الأدب والفكر الشرقيين. ورغم خصومته السياسية مع المسلمين، فقد بلغ الاهتمام بالثقافة الأندلسية والإسلامية ذروته في عهده الذي شهد بروز "مدرسة طليطلة للمترجمين"، التي ضمت مترجمين من ثقافات ولغات متعددة، وساهمت في وضع اللبنة الأولى للأدب القشتالي¹⁸.

وقد كان لهذه الروايات العربية المتميزة أثر واضح في الادب الاسباني، كما يستدل من ذكر بعضها في كتاب العجائب liber de marvelles لروموندو لوليو في كتاب الكونت لوكانور للدوق خوان مانويل بي. وكانت مصدر إلهام للكثير من كتاب أوروبا وأدبائها وعلى رأسهم الشاعر الفرنسي الشهير " لافونتين " (1621-1695 م) الذي اعترف بنفسه بأن " كليلة ودمنة " كانت إحدى أهم المصادر التي اعتمد عليها في كتاباته، حيث كانت قد ترجمت إلى اللغة الفرنسية في عام 1644م.

ويشير بروفنسال إلى آثار الأدب العربي في الفن القصصي في أوروبا، فقد كان هناك أثر واضح لهذه القصص التي تحمل طابعا دينيا، حيث كانت تروى للعظة واستلهاهم العبر والخواتيم، وهو في حقيقته أسلوب شرقي إسلامي¹⁹.

قصة حي بن يقظان :

وهي إحدى كلاسيكيات الأدب العربي القديم، ورائعة من روائعه كتبها الفيلسوف الاندلسي ابن طفيل، وجمع فيها بين الفلسفة والأدب والدين، فهي قصة ذات مضامين فلسفية تحكي قصة ملك عظيم منع أخته من الزواج، لذلك تزوجت سرا من رجل يدعى " يقظان " فأنجبت منه طفلا سمته " حي " ووضعت في تابوت وقذفته في اليم ليستقر الحال بهذا الرضيع على أرض لا وجود للناس فيها، فاتخذ من الغزالة مرضعا له والطبيعة مأوى، ولما كبر واشتد عوده ونضج فكره، انصرف إلى التأمل في الكون، والتعمق في التفكير بما حوله من نبات وحيوان وشمس وقمر، وهو ما وصل به في نهاية المطاف بالاعتقاد الجازم بوجود خالق لهذا الكون الفسيح .

وقد تمت ترجمة قصة حي بن يقظان إلى اللاتينية من طرف إدوارد بوكوك، وقد كان لها أثرها البالغ على الأدب الأوروبي، حيث يذكر "فيليب حتى " أن هذه القصة كانت من أمتع الأعمال وأكثرها أصالة في أدب العصور الوسطى، وقد تأثر العديد من كتاب وأدباء أوروبا بالأسلوب الشيق والساحر الذي كتبت به حتى أن بعضهم نسج على منوالها في كتاباته الأدبية، وأشهر هؤلاء الكتاب الكاتب الإنجليزي " دانيال ديفو " الذي كتب قصته المشهورة " روبنسون كروز " بعد اطلاعه على الترجمة اللاتينية²⁰ لقصة حي بن يقظان وتأثره بما جاء فيها من النزعة التأملية التي توصل في نهاية المطاف إلى الإدراك بوجود خالق لهذا الكون فسيح الأرجاء، شديد الترتيب، كثير التنوع وكل ذلك بفضل قدرة العقل التي ميز الله به الإنسان عن سائر المخلوقات.

ونلمس بشكل واضح، تأثر الأدب الأوروبي بالأدب الأندلسي في قصة " دون كيشوت " لصاحبها " سيرفانتس " الذي قيل أنه ذكر أن لقصته أصلا عربيا، ويقول عنها المؤرخ الأمريكي المختص بالتاريخ الاسباني " أنها قصة أندلسية قلبا وقالبا بأناقته وحبكته²¹ حتى أن المستشرق الفرنسي " جوستاف لوبون " يذكر أنه من يمعن النظر جيدا في حكمة " سانكو بانسا " بطل قصة " دون كيشوت " سيجد أن جزءا كبيرا منها ذات أصل عربي اسلامي، حيث يمكن الاتيان بما يماثلها من الأمثال العربية أو من الأقوال المأثورة ومنها :

- في الصلاح سر النجاح.
- انس همومك في ليلتك ما دمت جاهلا ما في غدك.
- الشجرة التي تخرج الشوك تخرج الشوك أيضا.

وعليه فان الأمثال والحكايات الشرقية تمتعت بشهرة واسعة في القرون الوسطى، وتأثر بها الأوروبيون أيضا تأثير لما كانت تولده من ابتكار، وما يقال بإصرار بأن الأدب الاغريقي هو أدب ابتكار وتوليد وأن الأدب الشرقي أساسا هو أدب محاكاة وتقليد قول فيه شطط²². بل إن الأدب الأوروبي ما كان ليحيا ويزدهر لولا حركة الترجمة التي انتعشت في القرن الثاني عشر ميلادي والتي نقل على إثرها

الكثير من أعمال العرب الأدبية إلى اللغات الأوروبية، فقد فتحت أبواب العلوم الشرقية وأقاصيصها على مصراعها لتغترف منها اسبانيا وأوروبا على حد سواء.

ثانياً : على مستوى الشعر.

لم يقتصر تأثير الترجمة الأدبية في صقلية والأندلس خلال العصور الوسطى على النثر فحسب، بل امتد تأثيرها إلى الشعر ليمس الشكل والمضمون فلم تكن كل الأعمال الأدبية التي أثرت في الشعر الأوروبي أعمالاً شعرية، بل كان بعضها أعمالاً نثرية، و نلمح ذلك جلياً من خلال تأثير الكاتب الايطالي دانتي برسالة الغفران لأبي العلاء المعري، وقصة الاسراء والمعراج في " الكوميديا الإلهية " إذ يتضح من خلال أوجه الشبه بين العاملين مدى تأثير دانتي بأسلوب أبي العلاء و يظهر أن " رسالة الغفران " قد تركت أثراً واضحاً في عمله الخالد.

ويذكر نقاد الأدب أن الشاعر الانجليزي (جون ميلتون john Milton) قد تأثر هو الآخر برسالة الغفران، وظهرت آثارها في ملحمة " الفردوس المفقود " " paradise lost " و يجمع هؤلاء النقاد على وضوح التأثير العربي في شعر التروبادور، الذي ظهر في الأقاليم الواقعة جنوب غرب فرنسا وشمال اسبانيا وجنوب إيطاليا، ويتناول هذا النوع من الشعر موضوعات تحتفي بالحب الدنيوي والشخصي الذي بدا كالمهرطقة بالنسبة إلى الكنيسة، بدعوي أنه غيّر الموقف من المرأة، وتضمن أشكالاً من الحب العابت خارج إطار الزواج، و يظهر على شعر التروبادور تأثير الموشحات الأندلسية وقصائد الزجل²³ ، فقد كان الشعراء الذين يؤدونه يقيمون فيما بينهم ما يشبه السجال الهجائي القريب من حلقات الزجل في الشعر الشعبي العربي، إذ يعتمد هؤلاء في غناء قصائدهم على الغناء المنفرد، مع مرافقة الغناء بالعزف على آلة موسيقية وترية، و هو ما جعل بعض المستشرقين المنصفين يقررون أن هذا النوع من الشعر الغنائي، ما هو إلا نسخة مبتكرة من الموشحات والأزجال العربية الأندلسية²⁴.

خاتمة :

كان لترجمة القصص والحكايا العربية التي تمت خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين في صقلية والأندلس، أثرها البارز والفعال على الأدب الأوروبي، شعراً ونثراً، الذي تحول بدوره من مرحلة التقليد والجمود، إلى مرحلة التجديد و الابداع، فقد كان الأدب الأوروبي التقليدي أدباً صارماً جامداً، يخاطب عقول النخبة ولا ينزل لأفهام العامة، فلما نقل الأوروبيون القصص والحكايات العربية ذات المغزى، عن طريق الترجمة، وجد العامة فيه ضالهم المنشودة، وأقبلوا عليه بشغف شديد، ورغبة عارمة، وأصبح الأدب الأوروبي بثوبه الجديد يطلق العنان للخيال والإبداع، متأثراً بالأدب العربي الذي بفضلله عرف النزعة الرومانتيكية، لاسيما في الغزل والرثاء، ليستلهم الروح الشرقية، ويأخذ ملامح جديدة ما كانت لتظهر لولا ترجمة الأعمال الأدبية العربية إلى اللغات اللاتينية.

الهوامش :

- ¹ علي بن ابراهيم النملة، النقل والترجمة في الحضارة الاسلامية، الأولى، ط 3، 2006م، ص 17
- ² شحادة كرزون، الترجمة: بداياتها، أطوارها، توجهاتها، بعض نتائجها، أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب، جامعة حلب، 1982م، سوريا، ص 301
- ³ عهد شوكت، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم والآداب، بيروت، 2005، ص 73
- ⁴ محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، الشركة المصرية العالمية للنشر، 1997، ص 6
- ⁵ محمود كرد علي، الاسلام والحضارة العربية، دمشق، 1993م، ص 281
- ⁶ محمد العمارتي، الأندلس الاسبانية برؤى استعرابيه، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص
- ⁷ مصطفى داودي، الترجمة في الأندلس ودورها في النهضة الأوروبية الحديثة، دار التنوير، ط 2012، م، الجزائر، ص 157
- ⁸ نفسه
- ⁹ أوليري، ديلاسي: الفكر العربي ومكانته في التاريخ، تر: تمام حسان، مر: مصطفى حلي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص 281.
- ¹⁰ فرنر شفارتس، نقل العلوم إلى أوروبا من خلال اللغة العربية واستعمال المصادر العربية حتى عصر النهضة، المجلة العربية للثقافة، تونس، المجلد 34، العدد 63، 2017م، ص 127.
- ¹¹ نفس المرجع السابق، ص ص 127-128.
- ¹² أحمد عثمان، المنجز العربي الاسلامي في الترجمة وحوار الثقافات من بغداد إلى طليطلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2012، ص 419.
- ¹³ نبيل حمدي الشاهد، العجائي في السرد العربي القديم مائة ليلة والحكايات العجيبة والأخبار الغربية أنموذجا، الوراق للطباعة والنشر، ط 1، 2012، ص 10.
- ¹⁴ صلاح الدين محمد عبد التواب، التراث الأدبي بين العربية والعالمية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، د ط، 2011 م، ص 88.
- ¹⁵ نفس المرجع السابق، ص 89.
- ¹⁶ موسى سلامة، ما هي النهضة، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، 2012م، ص 69.
- ¹⁷ أحمد شفيق الخطيب، أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية، مجلة اللسان، مصر، العدد الرابع، 1984م، ص 48.
- ¹⁸ مصطفى داودي، مرجع سابق، ص 255.
- ¹⁹ بدرية عبد العزيز، الثقافة بين المسلمين والنصارى في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الأردن، المجلد 14، العدد 2، 2020م، ص 21.
- ²⁰ أحمد شفيق الخطيب، مرجع سابق، ص 48.
- ²¹ أرمولد توماس: تراث الاسلام، تر: جورجيس فتح الله، دار الطليعة، بيروت، ط 2، 1972م، ص 287.
- ²² شاخت جوزيف، كليفور بوزرث، تراث الاسلام، ترجمة حسين مؤنس وإحسان عباس، مراجعة فؤاد زكريا، ج 2، عالم المعرفة، الكويت، 1998 م ص ص 261-264.
- ²³ محمد عباس، مصادر شعر التروبادور الغنائي، مجلة حوليات التراث، الجزائر، العدد 14، 2014م، ص 19
- ²⁴ لويس عوض، ثورة الفكر في عصر النهضة الأوروبية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1987م، ص 29.
- قائمة مراجع البحث
1. أحمد شفيق الخطيب، أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية، مجلة اللسان، مصر، العدد الرابع، 1984م.

2. أحمد عثمان، المنجز العربي الاسلامي الترجمة وحوار الثقافات من بغداد إلى طليطلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2012.
3. أرمولد توماس : تراث الاسلام، تر: جورجيس فتح الله، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1972م.
4. أوليري، ديلاسي : الفكر العربي ومكانته في التاريخ ، تر: تمام حسان، مر: مصطفى حلي، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
5. بدرية عبد العزيز، الماثقة بين المسلمين والنصارى في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الأردن، المجلد 14، العدد 2، 2020م.
6. شاخت جوزيف، كليفورد بوزرث، تراث الاسلام، ترجمة حسين مؤنس وإحسان عباس ، مراجعة فؤاد زكريا، ج 2، عالم المعرفة، الكويت، 1998 م.
7. شحادة كرزون، الترجمة : بداياتها، أطوارها، توجهاتها، بعض نتائجها، أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب، جامعة حلب، 1982م، سوريا.
8. صلاح الدين محمد عبد التواب، التراث الأدبي بين العربية والعالمية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، د ط، 2011.
9. عهد شوكت، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم والآداب، بيروت، 2005.
10. فرنر شفارتس، نقل العلوم إلى أوروبا من خلال اللغة العربية واستعمال المصادر العربية حتى عصر النهضة، المجلة العربية للثقافة، تونس، المجلد 34، العدد 63، 2017م.
11. لويس عوض، ثورة الفكر في عصر النهضة الأوروبية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1987م.
12. محمد العمارتي، الأندلس الاسبانية برؤى استعرابيه، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
13. محمد عباس، مصادر شعر التروبادور الغنائي، مجلة حوليات التراث، الجزائر، العدد 14، 2014م.
14. محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، الشركة المصرية العالمية للنشر، 1997.
15. محمود كرد علي، الاسلام والحضارة العربية، دمشق، 1993م.
16. مصطفى داودي، الترجمة في الأندلس ودورها في النهضة الأوروبية الحديثة، دار التنوير، ط2012، 1م ، الجزائر.
17. موسى سلامة، ما هي النهضة، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، 2012م.
18. علي بن ابراهيم النملة، النقل والترجمة في الحضارة الاسلامية، الأولى، ط 3، 2006م.
19. نبيل حمدي الشاهد، العجائي في السرد العربي القديم مائة ليلة والحكايات العجيبة والأخبار الغريبة أنموذجا، الوراق للطباعة والنشر، ط1، 2012.